بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 20 مارس 2017

مكانة الإلهة في أساطير وادي الرافدين

ميّادة كيّالي
باحثة سورية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

مكانة الإلهة في أساطير وادي الرافدين[1]

[1] يمثّل هذا العمل المبحث الثاني من الفصل الأوّل، من كتاب: ميّادة الكيّالي، المرأة والألوهة المؤنّثة، منشورات مؤسّسة «مؤمنون بلا حدود» للدراسات والأبحاث.

الملخّص:

بعد تحديد المعنى الاصطلاحيّ للأسطورة، قياسًا إلى الخرافة، تشرح الباحثة الدور الأساسيّ الذي لعبته الأساطير في نقل التراث الثقافي لحضارة بلاد وادي الرّافدين، باعتبارها أولى الحضارات المؤسّسة للأنماط الحضاريّة الإنسانيّة الرّاهنة. وفي سياق اهتمامها ببيان مركزيّة الأنثى في تلك الحضارة القديمة، قبل أن تتوارى تلك المركزيّة بعد الانقلاب الذكوريّ الحاصل في تاريخها لاحقًا، تدرّجت الباحثة من شرح الدور المعرفيّ الذي لعبته الأسطورة في تشكيل القاعدة الدينيّة، التي عبّرت عن مستويات الكون الثقافيّ لتلك الفترة ووجّهته، إلى كشف تلك المكانة التي احتلّتها المرأة في الأصناف الثلاثة الكبرى للأسطورة التي كانت موجودة حينها؛ أي في أساطير خلق الآلهة (ثيوغونيا)، وأساطير خلق الكون (كوزموغونيا)، وأساطير خلق الإنسان (أنثربوغونيا).

فالأولى؛ تصوّر ولادة الآلهة من تناسل الآلهة الذكر والآلهة الأنثى على صورة تناسل البشر؛ فمنها أسطورة «إنليل» (الإله المذكّر)، و«ننليل» (الإله المؤنّث)، في الثيوغونيا الإنليليّة، وشبيهها ما ورد في الثيوغونيا الإنكيّة.

وسواء كانت الآلهة «مامي» عند الأكديّين، أو «ماخ» عند السومريّين؛ فإنّ الإله المصدر الأوّل لخلق الكون هو إله أمّ أنثى تحرّكت فيه إرادة الخلق، وتصارعت الحركة السكون، لينتج عنهما الكون. هذا ما ترويه أساطير الصنف الثاني حول خلق الكون (الكوزموغونيا) عند السومريّين والبابليّين.

فأمّا الأنثروبوغونيا، فهي تكمل سلسلة الخلق، بخلق الإنسان من هذا المصدر الأوّل الإله الأنثى، كما في الأنثربوغونيا الطينيّة المائيّة.

المطلب الأول: الأسطورة بحث في المصطلح

من الضروري الوقوف عند أبعاد مصطلح الأسطورة والأسطوري؛ لأن هناك لغطًا ما بين مفهوم الأسطورة ومفهوم الخرافة، والفرق بينهما كبير جدًا، وقد يكون السياق القصصي والشكل الأدبي والمعلومات التي لا تنتمي للعالم الموضوعي قد جمعت بين المصطلحين، إلا أن الأسطورة تختلف تمامًا عن الخرافة من حيث المضمون، والرمز، والأهمية في علم الأنثروبولوجيا.

«فالخرافة: حكاية بطولية مليئة بالمبالغات والخوارق، وأبطالها الرئيسون من البشر أو الجن، ولا دور للآلهة فيها. بينما الأسطورة: حكاية مقدسة بمثابة سجل أفعال الآلهة، إنها مغامرة العقل الأولى مع الكون، والقفزة الأولى نحو المعرفة، وأداة الإنسان الأولى في التفسير والتعليل واكتساب المعرفة، وهي: أدبه، وشعره، وفنّه، وشرعته، وعرفه، وقانونه، وانعكاس خارجي لحقائقه النفسية الداخلية؛ فالأسطورة نظام فكري متكامل، استوعب قلق الإنسان الوجودي، وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، هي باختصار: مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم». (**السواح** 1982: 15).

ووفقاً للسواح، كذلك، فإن الأسطورة تتمتع بالعناصر التالية:

1. من حيث الشكل؛ تحكم الأسطورة مبادئ السرد القصصي، وغالبًا ما تكون في قالب شعري.
2. يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن.
3. لا تعرف الأسطورة مؤلفًا واحدًا معيّنًا؛ لأنها ظاهرة جماعية يخلقها الخيال المشترك.
4. تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسة في الأسطورة، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكمّلًا لا رئيسا.
5. تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية.
6. تجري الأسطورة في زمن مقدس، غير الزمن الحالي.
7. تتمتع الأسطورة بالسلطة المطلقة على عقول الناس ونفوسهم.
8. ترتبط الأسطورة بنظام ديني، كما تنهار بزواله (انظر **السواح** 12-14: 2012).

لقد شكلت الأساطير السومرية أولى الأساطير أهميةً؛ فمن جهة، حُفِظت عن طريق الكتابة التي شكلت الألواح الطينية فيها العامل الأساسي بحفظها من التلف، ولولاها لكنا فقدنا أهم مخزون ثقافي يعكس حقيقة الأفكار والوعي والدين في تلك الحقبة الموغلة في التاريخ. ومن جهة ثانية؛ فإن نظام الأرشيف الذي ابتدعه السومريون لعب دورًا مهمّا في حفظ تلك الألواح، فقد كان لدى السومريين مكتبات تُحفظ فيها الرُّقم الفخارية تدعى بيوت الألواح، وكان لهم نظام للأرشيف يساعد خازن بيت الألواح على جرد محتوياته، وخدمة المستفيدين منه. (**السواح**9: 2012).

ولكن لم يفصل السومريون بين الألواح الخاصة بالأساطير، وتلك التي تخص النصوص الأدبية؛ لذا اجتهد علماء الأنثروبولوجيا في حصر وتوصيف الأساطير، لتمييزها عن باقي النصوص نظرًا إلى أهميتها.

إن تقاليد بلاد ما بين النهرين تحتوي على قصص عن الآلهة، وتفاعلاتها مع بعضها الآخر ومع البشر. وفي حين أننا قد نشير إلى هذه الحكايات عرضًا على أنها أساطير، فإنها بالنسبة إلى شعوب بلاد الرافدين القديمة حقيقية كما التاريخ نفسه، فقط سقطت في الضبابية بسبب المرحلة التي حدثت فيها، ولكن بالنسبة للآلهة والإلهات أنفسهم، كانت وقائع ملموسة حقيقية، بقدر ما هي حقيقة تلك القوى غير المرئية، التي جعلت النباتات والحيوانات تتكاثر، والبشر يتوقون للحب، والحياة تأتي إلى نهاية.

وبمعجزة الكتابة، وبنفس الأهمية بمعجزة الأدب، قُدِّر لهذه الحكايات البقاء على قيد الحياة، وعلى الرغم من أن العديد منها قد فقدت إلى الأبد، يبقى الكثير ينتظر أن يتم استرداده من تحت الغبار (**Bertman** 2003: 126).

ومع ذلك، فقد تم تخزين سجلات القصر والمعبد في المحفوظات، وبفضل قاعدة البيانات تلك، يمكننا التعرف إلى الحياة اليومية للعالم القديم، لتضاف إلى المعلومات التي ربحناها في أماكن أخرى من النقوش العامة المحفورة على الحجر. (**Bertman** 2003: 149).

وتذهب ستيفان دالي إلى القول: «إن من التهور أن نحاول التوصل إلى تعميمات شاملة حول تعريف الأسطورة، أو الملحمة، أو الميثة (Myth)، أو أفضلية الميثة بالنسبة للطقوس، وعليه يبقى أفضل وصف أو تصنيف للعمل هو العمل ذاته، وتستند ستيفاني في ذلك، على ما بينته من أن أدب بلاد الرافدين تميز بسهولة التكيف، ووضوح النَّحل الأدبي لذلك، ففي نظرها، تبقى جميع المحاولات الحديثة لتحديد مختلف أنواع الكتابة ذات صدقية محدودة». (**دالي** 24: 2011).

وتبقى نصيحة دالي ماثلة، وذات وجاهة في دراسة النص نفسه بدلالاته وأسئلته، والتي تبقى أدلة وضعية وليست علمية مثبتة، إلا في حقيقة وجودها، ومن خلال هذه النصوص سيتم بلورة تصور لطبيعة المفاهيم والأفكار التي دوّنتها النصوص في تعبير عن المعتقد الأساسي للعالم المقدس.

المطلب الثاني: الأسطورة ودورها في تاريخ وادي الرافدين

لعبت الأسطورة دورًا بارزًا في نقل التراث الثقافي في حضارة وادي الرافدين؛ حيث إنها شهدت أول ثورة في تاريخ الإنسانية، وهي الثورة الزراعية وما تلاها من اكتشاف المعادن، وما رافقها من فن الكتابة التصويرية، لتكون حاضنة أول كتابة عرفها الإنسان بلغة مسمارية، وحفظت لنا هذا التراث الثقافي، وفتحت الباب على تاريخ غامض أو ملتبس، توقف عند أسفار العهد القديم في روايته لأحداث الخليقة والآلهة وخلق الإنسان.

وما حفظته أرض حضارة وادي الرافدين من دلائل أركيولوجية شكلت كنزًا مهمّا، ولكنه بقي في الظل إلى حين فك رموز الكتابة المسمارية في أربعينيات القرن التاسع عشر، مما أدى إلى نقلة هائلة، ومكّن حل رموز جلجامش على يد عامل مطبعة قديم أصبح عالمًا بالآشوريات (2187 م)، إلى ثورة مهمة دفعت الأنثروبولوجيين إلى إعادة النظر في الألواح الطينية، التي سطرت عليها قصص الآلهة وبدء التكوين وخلق الانسان بتلك الأحرف المسمارية، حيث أمكن قراءة الكتاب المقدس بطريقة مختلفة بعد أن اعتبر لأكثر من ألفي عام أقدم كتاب فوق طبيعي.

وتسأل هيلين مونساكريه، وهي تحاور عالم الآشوريات جان بوتيرو الذي قضى خمسين عامًا من عمره يعمل على فك ألغاز أساطير الرافدين: متى علينا القول إن علم الآشوريات قد بدأ؟ فيجيبها: في الحقيقة لا توجد ولادة حقيقية في التاريخ، تظهر ظهورًا مفاجئا، هناك شيء سابق على الدوام؛ فقد ولد الاهتمام بهذه الحضارة من اعتياد طويل وبطيء على التفكير بها، وممكن أن نحدد ولادة العلم الذي نذر نفسه له في الوقت الذي بدأنا فيه نقول لأنفسنا لقد عثرنا على مفتاح مخزن الغلال القديم المنسي هذا!». (**بوتيرو** 94: 2005).

ومن خلال الأساطير، استطاع الأنثروبولوجيون فهم طبيعة تفكير الإنسان في حضارة الرافدين، وكيفية فهمه الظواهر الطبيعية من حوله، ومراحل تطور تفكيره، وما عكسته من العلاقات الاجتماعية والسياسية التي رمت بظلالها على أدوار ومقدرات الآلهة وتحولاتها، حيث بدأت بالإلهة الأم الكبرى، وما يحيطها من مجمع للآلهة، لتنتهي بالإله الذكر المتفرد مع خمسين اسمًا، يُشكل كل منها ميزة وسمة ومقدرة؛ فكلما تعاظم دور الذكر في الحضارة، منذ قيادته ثورة المعادن والتصنيع، وسحبه الملكية من المرأة، بتحويله مسار التوريث إلى أبنائه من صلبه عن طريق أحادية الزواج، وقيادته الحروب والفتوحات، وظهور العنف

الجماعي. كلّما أسس ذلك لتعاظم قوة الإله، واندحار الآلهة الأنثى التي كانت أساس الكون، واندحرت لاحقًا حفيدتها التي مثلت آلهة الحب والجمال، لتصبح أيضًا آلهة الحرب والقتال، ومن ثم، لتصبح رمز الخداع والمراوغة، وتنسحب معها المؤسسة الدينية لصالح الرجل، وتنحدر مكانتها في المعبد من الكاهنة العظمى التي تبارك وترسم مستقبل الملك والبلاد، وتحدد مصير الخصب والنماء لمملكته، لتصبح بغيًا ومومسًا، ولتوصم بارتكاب الفحش، وتصبح رمزًا وسببًا للخطيئة الأولى.

«لقد كانت الأساطير في بدايتها قبل 3000 ق.م شفاهية وغير مدونة، ثم بدأ السومريون تدوينها، ويرى كريمر، أن أقدم الأساطير السومرية وصلنا مكتوبًا باللغة السومرية على أسطوانة من الطين، مقسمة إلى عشرين حقلًا، وتعود إلى 2400 ق.م، وهي أسطورة تتعلق بالإله إنليل، والإلهة ننخرساج». (**الماجدي** 62: 1998).

إن ما قدمه السومريون عبر اختراع الكتابة المسمارية، كان من العوامل البالغة الأثر في جعل الثقافة السومرية تترك بصمتها على ثقافة الشرق الأدنى برمته، ولكن ليس بالكتابة وحدها؛ إذ كان السومريون سباقين في تطوير دين بدائي متكامل، انتقل بتأثيره إلى كل الثقافات التي تلت.

«لقد طور السومريون مبادئ دينية وروحية، وكانوا أول من وضع الملاحم الشعرية وأولى التراتيل الدينية والقصائد الدنيوية، وأولى التشريعات والقوانين والتنظيمات المدنية والسياسية، وباختصار، يقول فراس السواح: فالتاريخ يبدأ من سومر» (**السواح** 25: 1982). أما خزعل الماجدي، فيقول: «إن التاريخ البشري على مستوى الإنجاز الحضاري المادي والثقافي، قد أمدنا بثلاث معجزات نوعية كبرى، كانت كل معجزة منها الأساس لحقبة بشرية طويلة، ظهرت فيها حضارات عديدة، وأولى هذه المعجزات كانت المعجزة السومرية؛ والتي دعاها معجزة التأسيس أو معجزة الأصول؛ فقد وضعت الأسس الأولى الراسخة والنوعية والمتينة المادية والثقافية والروحية التي سارت عليها البشرية، مثل؛ الكتابة، والتشريع، والدين، والعلوم، والآداب، والحرف، والفنون، والقيم الأخلاقية، والطب، والعمارة، والرّي، والفكر، وغيرها، وأطلق السومريون على نواميس الحضارة هذه مصطلح الـ (مي)، التي أحصى منها الباحثون أكثر من مئة ناموس حضاري». (**الماجدي** 11: 1998).

وسيتصدى الفصل المقبل لتحليل الأساطير، وذلك بمتابعة صورة الآلهة في خيال إنسان هذه الحضارة، ورؤيته أو تصوره عن الكيفية التي خلق فيها الكون، ومَن وراء هذه القوى التي تحيط به، والتي أعجزه بعضها، وعلى رأسها ظاهرة الموت، فراح يبحث للكشف عن حقيقة العالم الذي يحيط به، وحقيقة الحياة وبداية الخلق، ووضع تفسيرات لها، استنادًا إلى المرحلة التاريخية التي وصل إليها، ومجمل تطوراته التي أثرت في صياغة المعتقدات.

وحاول، كذلك، تقليد الطبيعة كنوع من ممارسة سحر معين، يفرض من خلاله على الطبيعة الاستجابة دون الاستعانة بأية قوى خارقة، إلى أن فشل عند مرحلة معينة من السيطرة على أهوال كبيرة أنهكته وجعلته عاجزًا أمام جبروتها، فبدأ الشعور يتسرب إلى نفسه بوجود قوى خارجية تقف وراء هذا العالم، متحكمة به وبمصائره، وأخذ يحاول التقرب من هذه القوى، وبنفس الوقت استمالتها ونيل رضاها، كي لا تغضب وتُغضب معها الطبيعة وتحل به الكوارث.

«في هذه الأثناء، ظهر الدين بشقيه؛ الشق الأول: اعتقادي، يستخدم الأسطورة أداة للمعرفة والكشف والفهم. والثاني: طقسي، يستهدف استرضاء الآلهة والتعبد لها. فالأسطورة، والحالة هذه؛ هي التفكير في القوى البدئية الفاعلة، الغائبة وراء هذا المظهر المتبدي للعالم، وكيفية عملها وترابطها مع عالمنا وحياتنا، وهي أسلوب في المعرفة والكشف والتوصل للحقائق، ووضع نظام مفهوم ومعقول لوجود يقنع به الإنسان، ويجد مكانه الحقيقي ضمنه، ودوره الفعال فيه، وهي الإطار الأسبق، والأداة الأقدم للتفكير الإنساني المبدع الخلاق، الذي قادنا على طول الجادة الشاقة التي انتهت بالعلوم الحديثة، والمنجزات التي تفخر بها حضارتنا القائمة». (**السواح** 1982: 9).

المطلب الثالث: أساطير الخليقة في وادي الرافدين ومكانة الإلهة الأنثى

إن تتبع ورصد الأساطير في حضارة وادي الرافدين، وانعكاساتها على مسار الحضارات المختلفة التي تتابعت، سيظهر الانزياح الحاصل في مكانة الإلهة الأنثى على مستوى أساطير الخليقة، التي تحدثت عن البدء، وعن نشوء الكون، وعن الآلهة وخلق الانسان؛ فالانزياح سيتبلور من خلال دراسة مقارنة ما بين الأساطير من سومر وآكد وبابل وآشور.

إن دراسة هذه الأساطير ستشكل المنطلق الحقيقي لفهم حقيقة وجود الإلهة الأنثى في تاريخ الآلهة، وتصورات الإنسان السومري عن الآلهة التي خلقت الكون، وكيفية خلقه، وكيفية خلق الإنسان، ومركزية دور الإلهة الأنثى.

ويقسم الماجدي أساطير الخليقة إلى ثلاثة أقسام؛ وهي: أساطير خلق الآلهة، وأساطير خلق الكون، وأساطير خلق الإنسان.

أولًا: أساطير خلق الآلهة (ثيوغونيا)

وهي التي تعكس توالد الآلهة كتوالد الإنسان، من جماع ما بين الآلهة المؤنثة مع الآلهة المذكرة، وتخرج منهم شجرة الآلهة المتعددة، كما حصل في (الثيوغونيا الإنليلية)؛ وهي أسطورة إنليل وننليل التي

أخرجت نانا إله القمر. و(الثيوغونيا الإنكية)؛ وهي أسطورة إنكي، وننخرساج، وولادة ننسار سيدة الخضار والنباتات. (انظر **الماجدي** 141: 2013).

ويتحدث الشواف عن الثيوغونيا الإنليلية، فيروي توالد الآلهة، مشيرًا إلى أن: «عملية ولادة الآلهة في معظم الأحيان، تتم نتيجة اتصال جنسي، كما يحدث بين رجل وامرأة، وهذا ما حصل في علاقة إنليل ((Enlil) سيد الهواء، وهو رئيس مجمع الآلهة السومري)، وننليل (Ninlil) سيدة الهواء، وهي قرينة إنليل؛ حيث يسكب إنليل، نتيجة اتصال أول، في أحشائها بذرة «ابنه سين- أشيمبابار» (Sin-Ashimbabar) الإله القمر الأكدي، وأضيف إليه لقب (بابار السومري) وهو لقب نانا السومري، ومعناه: (ذو الشروق المنير)، ومن ثم، «بذرة نرجال مِسلامتا - إيا» (Nergal-Meslamtaéa) إله العالم السفلي، وكذلك «بذرة نين– آزو» (Nin-Azou) أحد آلهة العالم السفلي، وأخيرًا، بذرة إنبيلولو (Enbilolou) المكلف بالسهر على الأقنية «المسؤول عن الأقنية». وجميع هؤلاء الآلهة؛ هم أبناء الإله إنليل».(**الشواف، ج223**: 1997).

ثم يشير الشواف إلى الثيوغونيا الإنكية التي فصّلت في توالد الآلهة من سلالة إنكي، وبعملية جنسية كان هو بطلها: «وأما الإله إنكي (Enki)؛ إله الخلق ومهارة الصنع السومري، وهو إيا الأكدي، فلا يختلف عن إنليل من هذه الناحية؛ إذ يقول عنه النص المتعلق بإحياء بلاد دلمون:

«من أجل دامجال ـ نونا[1] خصص أنكي منيّه،

وسكبه في حضن نين ـ خورساج»[2]

.... بعد ذلك ...

[نينتو][3]: «أم البلاد، كالزيت الناعم،

كالزيت الناعم، كالدهان الثمين،

ولدت نينسار[4]: «سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل»

.....

احتوى نينسار بين ذراعيه وجامعها

1 (Damgal Nunna) لقب قرينة إيا نينخورساج.

2 (Nin-Hursag) بمعنى السيدة الفائقة السمو، وهو لقب نينتو.

3 (Nintu) الأم البدئية، أم الآلهة.

4 (Ninsar) الإلهة الأولى التي ولدتها نينتو بالاقتران مع أنكي.

سكب منيّه في حضنها،

وتلقّت في حضنها المنيّ، منيّ أنكي![5].

.....

ولدت نينكورا[6] «سيدة النبات ذات الألياف». (**الشواف، ج224**: 1997 **).**

و يظهر جليًا توالد الآلهة من إخصاب إنكي المتكرر.

عندما تساءل إنسان ما بين النهرين، ولم يكن الوحيد في هذا المضمار، عن أصول كل ما يحيط به وعن بدء ما يحيط به، قدم أجوبة كانت أساس حوافزه لبناء حضارته، ووصل بعد ذلك، وبشكل طبيعي إلى طرح سؤال عن وجوده، وها هو يحاول قراءة فصل آخر من كتاب الكون: من بطل التكوين؟ ومن بطل الخلق؟ من كوّن ومن خلق؟.

«تعددت محاولات الإجابة عن هذا السؤال؛ فقد تم تصور إلهة أم، ولدت جميع الآلهة، آلهة السماء وآلهة العالم السفلي، إنها الإلهة الأم مامي ((Mammi)، الإلهة الأم البدئية في قصيدة الصراع بين نينورتا ((Ninurta) ابن إنليل، إله الحرب، والطائر أنزو((Anzou) الطائر الأسطوري الذي انتصر عليه نينورتا)، التي لقبت بسيدة جميع الآلهة، وهي التي أعلنت في النص الأكدي:

«أنا هي التي ولدت جميع الإيجيجي[7]

أنا التي خلقتهم بكاملهم،

هم ومجموعة الأنوناكي[8]، الآلهة ـ العظام،

وأنا التي منحت السيادة لإنليل[9] أخي،

وعيّنت لآن[10] سلطته العليا في السماء». (**الشواف، ج2**، 1997: 21).

---

5 (!) تشير إلى اللجوء لمعنى محدد للمقطع، أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة.

6 (Ninkura) الإلهة الثانية التي ولدتها نينسار بالاقتران مع أنكي.

7 (Iggigi) هنا: مجموعة آلهة الأرض.

8 (Annunaki) مجمع الآلهة السبعة العظمى.

9 (Enlil) سيد مجمع الآلهة في سومر.

10 (An) إله السماء.

وفي النص السومري عن الأحداث نفسها؛ نرى أن أم الإلهة هي ماخ:

أي مامّي الفائقة السمو[11]، ونينورتا هو نينجيرسو[12]:

«أمام الإلهين آنو[13] وداجان[14]

أثار آلهة الأرض مجتمعين

قضية سلطاتهم الإلهية

إذن، فلتعلم بأنني، أنا مامي

ولدت الإيجيجو كلهم[15]:

[لذلك سوف أقاتل (؟)[16]]

ضد عدو الآلهة!

أنا هي التي مَنَحت السيادة

لإنليل أخي، وكذلك لآنو

[فمن الآن فصاعدًا(؟) هذه السيادة

التي عينتها لهما شخصيًا

سوف أنقلها (؟) إليك [...][17]

ولكن عليك أولًا، تحويل [هذه الكارثة] إلى نصر.

---

11 (Mah) بمعنى السامية.

12 (Ningirsu) لتسمية السومرية لنينورتا.

13(Anu) إله السماء.

14 (Dagan) المقابل الأكادي لإنليل أضيف بتأثير عموري.

15 (Iggigu) التسمية السومرية للإيجيجي، وهم مجموعة آلهة العالم العلوي.

16 (?) تشير إلى قراءة غير أكيدة للنص، وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.

17 [...] تعني فقدان كلمات، أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

أعِدِ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خَلَقْتُهم.

أدخلْ معه في معركةٍ نهائية...». (**الشواف، ج2** 22: 1997).

«بعد أن أنجزت ولادة أو ولادات الآلهة، يمكننا القول، إن هؤلاء قاموا، في مرحلة ثانية، بإنجاز أعمال تكوينية، ذكّرت بها مقاطع مختلفة من النصوص التي وصلتنا، وتعددت بذلك قصص التكوين الجزئية، كما تعددت الآلهة التي نُسبت إليها هذه الأعمال، متراوحة بين الآلهة دون تحديد: إنكي/ إيا (Enki/Ea) وإنليل (Enlil)، والثالوث: آنو (Anu)، إنليل، إنكي. دون أن ننسى الإلهات: مامي/ماخ (akh/ Mammi)، آرورو (Aruru) وبيليت- إيلي (Belet-Ili) سيدة الآلهة، وأخيرًا، الإله مردوخ (Marduk)؛ إله أسطورة الخليقة البابلية، الذي استأثر وحده بعملية التكوين الكاملة». (**الشواف، ج2**34: 1997).

وفي حين أننا نرصد مجمعًا للآلهة وتعدد في الثيوغونيا السومرية، نرى أن؛ البابلية تتحدث عن تنازل للآلهة عن السلطة للإله مردوخ المتفرد، الذي احتفظ لنفسه بأسمائهم، مما يعكس ما حصل في الأسطورة البابلية من سلب لصفات الآلهة، وتهميشها، وجعلها في مردوخ كما سنرى.

مردوخ مع كائنه ورمزه موش خوش (**الماجدي**246: 2013).

ثانيًا: أساطير خلق الكون (كوزموغونيا):

يشير الماجدي إلى أن الأساطير السومرية حين تحدثت عن بدء الخليقة، اعتقدت بوجود الإلهة الأم الأولى؛ وهي إلهة هيولية نمو، تحركت فيها إرادة الخلق، وتصارعت الحركة مع السكون، فنتج عن ذلك الكون (آن - كي)، الذي يعني: (السماء - الأرض)، والزمن الأول الذي بدأ فيه الخلق؛ هو (Uria) أوريا، وبهذا الثالوث، اكتمل خلق الكون عند السومريين.

يتولد بعد ذلك إنليل/سيد الهواء، الذي ينمو ويكبر بين آن وكي، ليفصل بينهما، فيرتفع الإله آن إله السماء عاليًا، وتنخفض كي إلهة الأرض إلى الأسفل، ويقوم آن بإخصاب كي عن طريق المطر، فيلد إنكي إله الماء الذي سيصبح فيما بعد إله الأرض» (**الماجدي** 141: 2013).

وبولادة هؤلاء الآلهة الأربعة، يكون الكون بمعناه البدئي قد اكتمل، حيث تميّز الآلهة «آن، كي، إنليل، إنكي»، وأصبح كل منهم إلهًا لواحد من أوجه الطبيعة الأربعة؛ «السماء، الأرض، الهواء، الماء»، وهي العناصر الأساسية الأربعة للكون كله.

أما الكوزموغونيا البابلية، فقد أظهرت أن الكون الأول يتألف من نوعين من المياه؛ مالحة: هي تيامت والتي ترمز للأنوثة في الآلهة. والنوع الثاني: إبسو؛ ويرمز للمياه العذبة. وبعد ذلك، خرج منهما الجيل الأول من الآلهة، عن طريق الاندماج، وليس هناك تصور لفعل جنسي. أما الأجيال اللاحقة، فتحصل بتزاوج كما البشر، ومن ثم يقوم الإله مردوخ، وعبر صراع مع الإلهة الأم تيامت، بتشكيل الكون من جسدها، بصورة مكتنزة بالرموز المعبرة عن تاريخ الانقلاب على المجتمع الأمومي.

ويمكننا تتبع ما حصل من انزياح وتهميش للإلهة الأنثى، عندما نرصد مقتلها في الإينوما إيلش، فبينما تبتعد في الأساطير السومرية عن الاهتمام والأهمية لصالح الإله إنليل ثم لصالح الإله إنكي، نرى في الإينوما إيليش؛ كيف أن الإله مردوخ يزيحها بالعنف وبالسلاح، مؤسسًا لمفهوم العنف الجماعي، حين جمع الآلهة للقصاص من قائد جيوش الإلهة الأنثى، وكذلك، سنشهد التحول نحو التفريد، بعد أن وهبته الآلهة خمسين اسمًا، يرمز كل اسم لمقدرة يتمتع بها هذا الإله، وكذلك، الانزياح بعملية الخلق، حين منحه مجلس الآلهة إمكانية الخلق بالكلمة، فأضحى يخلق من فمه.

ثالثًا: أساطير خلق الإنسان (إنثروبوغونيا)

تعددت أساطير خلق الإنسان، ولعل الإنثربوغونيا الطينية المائية التي تجسدها أسطورة «إنكي ونمّو وننماخ وطين الأبسو»: هي الأكثر شهرة بينها، وكذلك، هناك الأسطورة التي تفترض الأصل النباتي للإنسان على يد الإله إنليل. وأسطورة الأصل الإلهي؛ التي تفترض ذبح أحد الآلهة، ومن دمه يُصنع الإنسان ليعمل بالنيابة عن باقي الآلهة. وهناك إشارات إلى أن السومريين عرفوا الأنثروبوغونيا اللوغوسية؛ أي إن الإنسان خُلق بمجرد نُطْق الآلهة. مما يشير إلى عمق فكرة الخلق من الكلمة في التراث السومري. (انظر **الماجدي** 2013: 149-153).

في الأنثروبوغونيا البابلية، يتم خلق الإنسان أيضًا بعدة طرق؛ من الطين، ودم الآلهة، وعن طريق الكلمة. ولكن الأسطورة الشائعة: هي خلقه عن طريق مزج دماء آلهة العمل مع الصلصال، ويكون الدور في هذا للإله مردوخ. (انظر **الماجدي** 2013: 250).

«إنكي» إله الخصب في سومر ينبع من كتفيه النهران دجلة والفرات.
من مقالة للماجدي على موقع العرب www.alarab.co.uk

المصادر والمراجع:

- بوتيرو، جان: **بابل والكتاب المقدس (محاورات مع هيلين مونساكريه)**، ترجمة روز مخلوف، ط2، دار كنعان، دمشق (2005).

- دالي، ستيفاني: **أساطير من بلاد الرافدين**، ترجمة نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت (1997).

- السواح، فراس، **مغامرة العقل الأولى، ط3**، دار الكلمة للنشر، بيروت (1982).

- السواح، فراس: **الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية**، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق (2012).

- الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير سومر وأكد**، الآلهة والبشر، ج2، الساقي، بيروت (1996).

- الماجدي، خزعل: **متون سومر، الكتاب الأول (التاريخ – الميثولوجيا – اللاهوت – الطقوس)**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (1998).

- الماجدي، خزعل: **كتاب إنكي، الأدب في وادي الرافدين**، ج1، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء (2013).

- Bertman, Stephen, *Handbook to Life in Ancient Mesopotamia*, University of Windsor, New York, (2003).

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2017

جميع الحقوق محفوظة © 2017